الشخصيةُ في شعر صادق الطريحي (بيت القارئات) إنموذجا

أ.م.د. وسام محمد منشد بندر الهلالي

قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة القادسية

The Character in the Poetry of Sadeq Al-Tarihi (The House of the Female Readers) as a Model

Asst Prof. Dr Wissam Muhammad Munshid Bandar Al-Hilali

ملخص البحث

لعل الشخصية في مجموعة الشاعر المعاصر صادق الطريحي (بيت القارئات)؛ واحدة من المرتكزات البنائية عنده، التي يتشكّل منها عصب الإبداع ويتفرّع عنها النسيج بما تكتنزه الشخصية ـ وقد أحسن اختيارها من حمولة ثقافية، يمتص دورها ويوظّفها خير توظيف، أو يحاورها، أو يتناصّ معها، أو مع معطياتها التي ثقفتها الذاكرة وتعرّفتْ حضورها، وقد وجدتُ أنّ هذه الشخصيات تتوزّع على أربعة أصناف، هي على التتابع : الشخصية الدينية، والشخصية التاريخية، والشخصية الأسطورية، والشخصية الرمزية، وقد جعلت كلاً منها محوراً أدرت البحث حوله. ولا يفوتني القول إن هذه الشخصيات قد تتداخل في خصائصها الفنية في أكثر من محور، لكنني اتخذت من دورها الظاهر أساساً في التصنيف.

Abstract

Perhaps the character in the collection of the contemporary poet Sadeq Al-Tarihi (The House of the Female Readers) is one of the structural foundations for him، from which the nerve of creativity forms and the fabric branches off from it with the treasures of the personality. He chose this character carefully from a cultural load، absorbing its role and employing it in the best way، conversing and interfering with it or with its data that the memory has cultivated and recognized its presence. I found that these personalities are divided into four categories، which are، in sequence: the religious figure، the historical figure، the mythical figure، and the symbolic figure. I made each of them the focus of my research. I do not fail to say that these characters may overlap in their artistic characteristics in more than one axis، but I have taken from their apparent role a foundation in the classification.

ـ المقدمة:

إن الشعر هو ذلك المنجز الإبداعي والجمالي الذي اتخذه الإنسان منذ الخليقة الأولى للتعبير عمّا يعانيه ويكابده، فضلاً عن كونه أداة فاعلة للتعبير عن مكنونات الذات ومعاناتها. ومن أجل تحقيق ذلك استطاع الشعراء أن يعبّروا عن ذلك بواسطة تقنية فنية قوامها التوظيف الفني لأشياء خارجية سياقية، لذلك تعدّدت الظواهر الأدبية في شعرنا العراقي المعاصر، بحيث شكّلت كل ظاهرة منها ملمحاً أدائياً خاصاً من خلاله يتميّز هذا الشاعر من سواه عن الشعراء.

إن الظاهرة الأدبية باختلافها تشكّل قيمة فنية يجتمع فيها الجمال والجمالية، ومن هنا كان الشعر العراقي المعاصر شعراً متمثلًا لظواهر فنية ـ أدبية عكست ثقافة الشاعر نفسه وقدرته على التفاعل الحيّ مع مجريات الحياة والتعبير عنها شعراً، وبحثنا هذا يدرس ظاهرة في شعر أحد الشعراء العراقيين المعاصرين وهو الشاعر (صادق الطريحي)، وتحديداً في مجموعته الشعرية (بيت القارئات)، إذ يقوم البحث على دراسة (الشخصية) في هذه المجموعة، فكان عنوان البحث: (الشخصية في شعر صادق الطريحي ـ بيت القارئات إنموذجاً)، وقد اعتمدت على المنهج التحليلي، الذي خلاله تمّ الوقوف على النماذج الشعرية في هذه المجموعة، محللين لها وكاشفين عن القيم الجمالية للشخصيات.

ـ مفهوم الشخصية:

الشخصية: كلمة مشتقّة من شخص والشخص سواء أكان الإنسان أم غيره، فسواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جثمانه فقد رأيت شخصه[١]

وجاء في لسان العرب مادة (ش، خ، ص)، أن لفظة (شخص)، والتي تعني: الشخص سواء أكان الإنسان أم غيره، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص، وشخّص يعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، وشخَّص ببصره، أي رفعه، وشخَّص الشيء، عيّنه وميّزه عمّا سواه[٢].

وفي المعجم الوسيط: (كل جسم له ارتفاع وحضور، وصفات تميّز الشخص عن غيره، فيقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميّزة و إرادة و كيان مستقلّ)[٣].

وفي الاصطلاح: فقد عرف الشخصية

(كاميل) و(وران)، بأنها: النظام العقلي الكامل للإنسان عند مرحلة معينة من مراحل نموه، وهي تتضمّن كل ناحية من النواحي النفسية، والعقلية،والمزاجية،وكذلكمهاراتهوأخلاقه، واتجاهاته التي كونها من خلال حياته[٤]، وعند (مورتن برنيس)، تعدّ الشخصية: مجموع ما لدى الفرد من استعدادات و دوافع و نزعات غرائز فطرية و بايلوجية، كذلك ما لديه من نزعات و استعدادات مكتسبة[٥]، وأمّا بودون فيرى أنَّ الشخصية: "هي تلك الميول الثابتة عند الفرد، التي تنظّم عملية التوافق بينه وبين البيئة"[٦]

كذلك فإن الشخصية هي " العنصر الآخر من عناصر البناء الدرامي ولا تقلّ أهميتها عن باقي العناصر، إذ أصبحت عنصراً ذا فاعلية كبيرة في العمل الأدبي بعامة، والدرامي بخاصة، إذ إن الشخصية هي التي تحرّك الأحداث وتقودها وتسير بها إلى الأمام، يضاف إلى هذا أن حركات الشخصيات هي التي تحدّد مسار الحدث وتتداخل معه"[٧] و تبني على إثر ذلك صوراً جديدة وفاعلة في النص.

ـ أنواع الشخصيات:

تختلف الشخصيات و تتنوّع في النص الشعري من شاعر لآخر، و كيفية توظيفها، فمرة تكون شخصية واقعية، يستند فيها الشاعر إلى شخوص حقيقيين، ومرة تكون مجازية من مخيلة الشاعر، يهرب إليها الشاعر بسبب واقعه المزري أحياناً، وهناك شخصيات أخرى مجهولة يحاول الشاعر أن لا يجعلها غريبة عن المتلقي و إلاّ أدخلت في خانة الغموض والتعمية، كما أنَّ الشاعر غالباً ما يجعل شخصياته مرتبطة بالأحداث ارتباطاً وثيقاً، وبعنصري الزمان والمكان، ومن هذه الشخصيات التي وردت في شعر الطريحي:

١ـ الشخصية الدينية:

تعدّ الشخصية الدينية، إحدى أهمّ الرموز التي وظّفها الشاعر العربي المعاصر، لأنها تمثّل له تراث أمة عريقة بشخوصها وأحداثها، إذ يمثّل التراث بالنسبة للشاعر المعاصر: الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، و الأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف، فيمنحه الأمن و السكينة[٨].

ولو تأمّلنا قليلاً في ديوان بيت القارئات، لوجدنا أغلب الشخصيات الدينية

التي وظّفها الشاعر الطريحي، مستوحاة من القرآن الكريم، ولا " غرابة إذا اشتدّت أواصر الأديب العربي... بتراثه فهو أشدّ التصاقاً من غيره لما يرى في ماضيه من مجد وعز وفي حاضره من تقهقر وانكسار فيستذكر ما كان لعله يخفّف من وطأة الواقع المرير الراهن على نفسه، كما أنه يلجأ إلى التراث ليخبّئ فيه ما لم يستطع التعبير عنه صراحةً "[٩].

ومن الشخصيات الدينية التي أشار إليها بشكل رمزي في شعره، هي شخصية النبي يوسف (عليه السلام)، إذ يقول:[١٠]

نبيا.....
بذاكرة النص ملقى
بلا أخوة يكذبون
بلا رفقةٍ يحملون السلاحَ
لطرد الذئاب من المنطقة
بلا صحبةٍ يحملون السيوف
لتحرير أرض العراق

في هذا المقطع نلحظ أن الشاعر وظّف شخصية النبي يوسف (عليه السلام)، وما يتعلّق بهذه الشخصية من شخوص وأحداث، بطريقة التكثيف الدلالي، أي بما يعرف بالنص المركّز. بمعنى آخر استطاع الشاعر أن يوظّف أكبر قدر ممكن من الأحداث والمواقف التي وردت في قصة النبي يوسف (عليه السلام)، بهذه الأسطر المعدودة. وهذا الاهتمام بالتراث التاريخي يعود إلى إيمان الشاعر بأنَّ التراث يمنح القصيدة طاقات تعبيرية لا حدود لها فيما لو وصلت أسلابها بها وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة، والشاعر حين يتوسّل إلى الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسّل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه، فيختار الشخصيات التراثية، التي يمكن أن تؤثّر في وجدان المتلقي وسمعه بأبعاد من تجربته المعاصرة التي يضفي عليها نوعاً من الأصالة الفنية عن طريق اكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري واكسابها في نفس الوقت لوناً من الكلية والشمول بحيث تتخطّى حاجز الزمن فيمتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة[١١].

وفي هذا النص نلحظ أن الشاعر أفاد كثيرا من بعض الشخصيات التي ذكرها لنا التاريخ، وهي الشخصية الرئيسة (النبي)، التي يصوّرها الشاعر بأنها مسجّلة في سجل التاريخ، وهذه الشخصية ليست كما قرأنا عنها وهي شخصية النبي يوسف (عليه السلام)

وما لاقاه من أخوته وقساوتهم معه، فهم الذين آذوا أخاهم يوسف (عليه السلام) وكادوا له برميه في ظلمات البئر، فهذا النبي بلا أخوة يكذبون وبلا رفقة يحملون السلاح، وبلا صحبة يحملون السيوف، كما في المخطط الآتي:

رفقة = صحبة، يحملون السلاح = يحملون السيوف

ففي هذين الشطرين استعمل الشاعر أسلوب الترادف، فالرفقة هي الصحبة وكذلك علاقة البعض من الكل فالسيوف نوع من أنواع الأسلحة. وهكذا استطاع الشاعر أن ينتج نصاً معاصراً معالجاً فيه بعض مشاكل الواقع الذي يعيشه، من خلال الدلالة السيميائية المستوحاة من توظيف الشخصية الدينية وما يتعلّق بها، لتحرير موطنه (العراق)، من مشاكله المختلفة التي ألّمت به، لذا لجأ لتوظيف شخصية النبي يوسف (عليه السلام) الذي استطاع تخليص مصر في عهده من مشاكلها الاقتصادية و الاجتماعية، وهكذا يلمح الشاعر إلى ما يمّر به بلده العراق كما يقول: (لتحرير أرض العراق).

ومن الشخصيات الدينية الأخرى في شعر الطريحي، شخصية الخضر (عليه السلام)، إذ يقول: [١٢]

جميلةٌ أنتِ وعراقية
سومريةٌ من نسغ دجلة
ما أجمل وجهك لحظة الصعود!
أنفك،
كمنارة الخضر المبنية من ألواح سومر
لتعارف اللغات،
منارةٌ من ورق الجنة والسواد،
لسماع النشيد.....
وكأنما الخضرُ يصعدُ فيها الآن،
يقرأ من نشيد سومر، سورةَ الحب

لقد جاءت شخصية الخضر (عليه السلام) هنا في موضعين، والموضعان هما في التشبيه كما في قوله: (كمنارة الخضر) و (كأنما الخضر)، في الأول يشبه أنف حبيبته بمنارة الخضر، ووجه الشبه بينهما هو الجمال والرفعة والنضارة، وقد بنى تشبيهه هنا على الموضع المكاني لشخصية دينية لها حضورها المستقبلي ممّا زاد ذلك في فاعلية النص، فهو يربط بين ما هو خيال (شخصية المرأة العراقية السومرية)، وبين ما هو حقيقة (منارة الخضر)، وهكذا بالنسبة للتشبيه الثاني الذي بناه على التمثيل، أي التشبيه التمثيلي، وذلك بعد أن وصف لنا الشاعر أنَّ تلك المنارة التي

تشبه أنف محبوبته، إنما هي خليط من ورق الجنة وأرض السواد، أي: العراق، والخضر (عليه السلام)، يصعد تلك المنارة ليقرأ سورة الحب، التي هي قبس من نشيد سومر ذلك الوطن الذي جاءت منه حبيبته. ويبدو أن الشاعر بتوظيفه لشخصية الخضر وهو يتلو سورة من كتاب سومري مقدس، إنما أراد أن يكسب صفة القداسة لذلك الحب الأزلي الذي يبتدئ من حضارة سومر ولا ينتهي أبداً لأنه مرتبط بشخصية الخضر (عليه السلام)، تلك الشخصية الخالدة التي كما هو معروف عنها ما تزال حية في مكان ما من ملكوت الرب.

٢ـ الشخصية التاريخية:

هناك الكثير من الشخصيات التاريخية التي وردت في شعر الطريحي، وهذا يعود إلى أن التاريخ يعدّ منبعاً ثرّاً من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الارتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي على وفق رؤية إنسانية معاصرة، تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وأحلامه، فالماضي يعيش في الحاضر ويرتبط معه بعلاقة جدلية على تعتمد التأثير والتأثّر، تجعل النص الشعري ذا قيمة توثيقية، إذ يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضي ووقائع العصر وظروفه، سواء أكانت سلباً أم إيجاباً[١٣] وأحياناً يكون لجوء الشاعر إلى التأريخ هرباً من الواقع المتردّي، ومحاولة إسقاط تطلّعه ومعاناته وآماله مؤطّراً ذلك بالطموح المنتظر إلى إكمال مسيرة ما بدأه الماضون الذين حطّموا عروشاً وجاؤوا بأخرى جديدة[١٤].

وقد يجمع الشاعر في القصيدة الواحدة بين أكثر من شخصية من الشخصيات التاريخية، لإبراز نوع من المفارقة الجماعية، بين الواقع التراثي لهذه الشخصيات، وبين ما آل إليه أمرهم في الحاضر[١٥]

يقول:[١٦]

ولست كالمهلهلِ، زير نساء
لستُ عسكرياً في هندسة الحربِ
أو ثورياً كصديقي برناد شو
لستُ محرراً في صحيفة عربية
أو عبرية
لستُ إسلامياً في توقيع الهدنة
أو رفع السلاح
لستُ ديمقراطياً في فن الإغراء
أو جمهورياً في توريث العرش
بل عمرياً في الحبِّ

أدين بدين الحب،
أنّى توجّهتْ ركائبه
فالحب ديني وإيماني.

لقد وظّف الشاعر - هنا - شخصيات تأريخية، وهما (المهلهل خال امرئ القيس، وعمر بن أبي ربيعة)، فضلا عن شخصية (برناد شو)، ويبدو أن لكل من هاتين الشخصيتين دوراً في هذا المقطع من القصيدة، فالمهلهل زير نساء، بينما عمر بن أبي ربيعة عذري في حبه وغزله.وقد استعمل الشاعر مفردة (لست) خمس مرات في هذا المقطع، ليؤكد براءته وعدم انتمائه لتلك الشخصيات ونفيها عن ذاته، وهذه الذوات هي: (المهلهل، العسكري، الثوري، المحرّر، الإسلامي، الديمقراطي، الجمهوري)، والذي يهمّنا من هذه الشخصيات، هو المهلهل، بوصفه الشخصية التأريخية الشعرية، والتي عدّها مع الشخصيات المرفوضة الأخرى، والتي كان لكل منها وظيفته التي ينفرد بها، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:

المهلهل = زير نساء
العسكري = هندسة الحرب
الثوري=برناردشو
المحرر = صحيفة
الإسلامي = توقيع الهدنة
الديمقراطي = فن الإغراء السياسي
الجمهوري = توريث العرش

فكل ذلك لا تنتمي له شخصية الشاعر، لما في تلك الشخصيات من أبعادٍ أيديولوجية بشكل أو بآخر، ولذا يصرّح الشاعر أن انتماءه فقط، لشخصية الشاعر عمر بن أبي ربيعة، في حبّه العذري، الخالي من أية مصلحة، أو دافع، سوى الحب الطاهر. وهنا تلتقي الشخصيتان (الشاعر و عمر بن أبي ربيعة)، في النقاء وخلو السريرة، ولهذا نجده يؤكد ذلك، بقوله: (أدين بدين الحب)، فالحب يمثّل له دينه وإيمانه الثابت.

وفي نفس القصيدة يقول:[١٧]

أحبكِ كما شيخي المعريّ
أو محيي الدين بن عربي.

فذكر هنا الشخصيتين التاريخيتين (المعريّ، ابن عربي) اللتين تشكلان له المثل الأعلى في الحب الحقيقي السامي. فالأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي وإنما لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد[١٨].

وفي موضع آخر يقول الشاعر:[١٩]

آن لي..

أن أتعلق بأستار أوروك

لستُ خائفاً من ميليشيا الحجّاج

لستُ خائفاً من كواتم الخليفة

لستُ خائفاً من تطبيق الحدود

لكنني أخاف منكم

وظّف الشاعر هنا شخصية تاريخية أخرى، هي شخصية (الحجاج بن يوسف الثقفي) في مقطع قائم على المفارقة، إذ جعل لأوروك أستاراً، كما للكعبة، كذلك استعمل مصطلحاً جديداً هو (ميليشيا) بدلا من مفردة (جند) أو (جيش)، وكذلك مفردة الكواتم، وربطها أيضاً بجند الخليفة، وكل من مفردتي (الميليشيا والكواتم) من المفردات العسكرية المعاصرة، بينما شخص الحجاج، وما يتعلّق به من دلالات الجند أو الجيش، هو من العصر الاموي، وقد بنى هذه المفارقة على مفارقة أعمّ، شكلت البؤرة الأساسية في هذا المقطع، وهي عبارة (لستُ خائفا)، فقد كرّرها ثلاث مرات، وكانت الرابعة بيت المفارقة حينما قال: (لكنني أخاف منكم). ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:

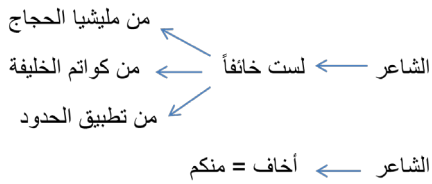

٣ـ الشخصية الأسطورية:

لقد جاءت الشخصية الأسطورية في أكثر من موضع في ديوان بيت القارئات، ومن أبرز تلك الشخصيات هي شخصية عشتار، التي وسمها الشاعر الطريحي بـ (الحبيبة):[٢٠]

مَن هذه السيدة التي وجهها

كوجه شبعاد في الحسن

من هذه المتشبثة ببغداد ضحى

كي لا نودعها؟

أخرجن، منشداتٍ يا بنات بغداد،

وانظرنَ الحبيبةَ عشتار

بعباءتها البغدادية

عباءتها التي من سندسٍ واستبرقٍ

وعليها أساورُ من ذهبٍ

وقلائدٌ من جمان

يفتتح هذا المقطع باستفهام انكاري عن حبيبته بقوله: (من هذه السيدة) التي جمالها كجمال الملكة السومرية (شبعاد)، (من هذه المتشبّثة ببغداد)؟ وإن توظيفه لشخصية

المرأة تأتي من خلال رسم ملامحها "الظاهرة للعيان، والتي تشكّل الإطار الخارجي لها. إنها ملامح الشخصية الخارجية من حيث الطول، ولون العيون، وشكل الوجه، والوظيفة والسن، والحالة الاجتماعية ... الخ، وأمّا الداخلي فهو ما لا نراه ظاهرياً رؤية العين"[٢١]

ويبدو أن للوصف دوراً مهمّاً في أغلب الشخصيات الأسطورية عند الشاعر صادق الطريحي، والتي تدخل ضمن الوصف الإجمالي (الانتقائي)، إذ فيه "ينتقي الواصف بعض أجزاء الأشياء أو بعض أحوالها دون مراعاة التفصيلات الدقيقة لها"[٢٢]، ثم يضفي ما انتقاه بين ثنايا النص الشعري، ممّا يخلق دوراً فاعلاً مع الأساليب الفنية الأخرى، التي منها ظاهرة الاقتباس القرآني، كما في: (عباءتها التي من سندس واستبرقٍ وعليها أساورُ من ذهبٍ)، فقد اقتبس الشاعر هذين الشطرين من القرآن الكريم، من قوله تعالى: " أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا"[٢٣]، فكما نرى أن الشاعر ضمن شخصيته الأسطورية عشتار، ممّا جاء في القرآن، من خلال تلك الملابس والزينة التي وصفت لأهل الجنة، وهكذا تشعّ ملامح الحبيبة التي تزيّنت بعباءتها البغدادية التي هي من سندس واستبرق، وأساورها الذهبية وقلادئها التي هي من لؤلؤ (جمان).

ويبدو أنَ توظيف الشاعر للأسطورة لم يأت مصادفة، ف "للأسطورة جاذبية خاصة، لأنها تصل بين الإنسان والطبيعة وحركة الفصول وتناوب الخصب، وبذلك تكفل نوعاً من الشعور بالاستمرار، كما تعين على تصوّر واضح لحركة التطوّر في الحياة الإنسانية، كما أنها من ناحية فنية تسعف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر، والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية"[٢٤]، وهذا كله يعود إلى اهتمام الشاعر برجوعه إلى التراث، وموقفه منه في أغلب نصوصه الشعرية التي مرّت والتي سنتناولها في المحاور اللاحقة، فقد صار " التراث الإنساني لدى الشاعر المعاصر جانباً من تكوينه الشعري، ذلك أن تجربة الشاعر المعاصر محاولة جاهدة لاستيعاب الوجدان الإنساني علمه من خلال إطار

حضارة العصر وتحديد موقف الشاعر كإنسان معاصر"[٢٥].

٤ـ الشخصية الرمزية:

لقد جاءت الشخصية الرمزية في مجموعة بيت القارئات، بشكل غير مصرّح به، فهو لم يذكر لنا تلك الشخصية صراحة، وإنّما ذكر ما يتعلّق بها، كما في قوله:[٢٦]

الأزرقُ
ظلُ الماءِ على الشموعِ
مسارُ ساقيةٍ خجول،
وذاكرةُ النهر قبلَ الجفاف.
الازرقُ..
وجه السماءِ غبَّ البكاء
عطرُ زهرةٍ بللها المطرُ الحلوُ
فصارت قبلةً على شعرِ أمي.
الأزرقُ..
صوتُ ستارةٍ في مسرحٍ شعبيّ
تسريحةُ ممثلةٍ في الكورس الوطنيّ
وأولُ رسالةٍ لسيدة المقام.
الأزرقُ طائرٌ يحسنُ الكلامَ
ويتقنُ فنَّ الإصغاء
يجيدُ التغزلَ بالممثلةِ التي في المسرح الشعبيّ.

هذه القصيدة مهداة إلى الفنانة التشكيلية عايدة الربيعي[٢٧]، والتي كانت الشخصية الرئيسة في هذه القصيدة، وقد تسيّدت ظاهرة اللون هذه القصيدة، فكان للون الأزرق دور مميّز في أحداث القصيدة، ويبدو أن اختياره للون الأزرق دون باقي الألوان، لأن اللون الأزرق هو لون الحياة لون الماء والسماء، يجري في ساقية باستمرار دلالة على الحياة بالرغم من بطئه، لا يتوقّف عند حدّ، وذاكرة النهر قبل الجفاف، وما يحمله النهر من ذكريات، ووجه السماء، وعطر الزهر، بلّلها المطر، كلها صور تعجّ بالحياة.

وكثيرة هي الشخصيات الرمزية التي وردت في ديوان بيت القارئات، ضمنها ما وظّفها بشكل مباشر، ومنها ما جاءت بشكل غير مباشر، كما في بعض النصوص السابقة.

ومن الشخصيات الرمزية التي وردت في نصوص الطريحي، شخصية (أنيتا)، في قصيدة (أنيتا في البلاد)، إذ يتحدّث الشاعر في هذه القصيدة عن المرأة التي أحبّها الشاعر الجواهري، يقول الشاعر:[٢٨]

حبيبي
أحبكَ..
حين تكون القصيدةُ..
غيثاً يغيّر طعم القراءةْ.
أنا امرأةٌ عاشقةْ

خزنتُ بعينيّ قمح الجنوبْ
وسرحتُ شعري
ليشبهَ ظلّ البحيرات

هذه القصيدة عبارة عن رسالة بلسان حال أنيتا إلى حبيبها الجواهري، استطاع الشاعر أن يذكر فيها أدقّ التفاصيل التي وصفت فيها أنيتا حبها الأزلي له، فكانت هذه القصيدة إحدى الرسائل التي كانت تبعثها له، بعد أن كتب الجواهري بحقّها قصائد عدة.

وهنا في هذا المقطع يصوّر الشاعر طبيعة تلك العلاقة بين شخصيه (أنيتا) وحبيبها الجواهري، فأنيتا تصف حبها للجواهري حينما تكون القصيدة كالغيث النازل من السماء له طعم يتميّز به عن غيره من المياه الأرضية، فخاطبته باللغة التي يفهمها الحبيب، ألا وهي لغة الشعر. بعد ذلك تصف له نفسها، وتبيّن معدنها، فهي ليست ككل النساء، بل هي امرأة عاشقة، يملأ عينيها أصالة الجنوب، المتمثّل بقمحه، وتسرح شعرها ليشبه ظل بحيراته.

أحياناً تكون الشخصية نقطة ارتكاز أساسية يعتمدها الأديب في طرح مفاهيم خاصة في الحياة والكون والوجود[٢٩]، وأحياناً تكون الشخصية نقطة لطرح بعض الآراء المتعلّقة بالفلسفة والدين، أو تكون نفسها أو مقاربة لأيديولوجية الأديب سواء أكان شاعراً أم كاتباً.

فالشخصية الرمزية: هي "الشخصية الإنسانية من حيث هي صورة تتشكّل عبر ما ينظمّها من علاقات وارتباطات داخلية وخارجية، ترسم أبعاد فعلها وتحدّد أنماط وصيغ حركتها الحيوية"[٣٠]، ومع ذلك فهي من صنع المبدع، إذ يقوم بتحويل الصور الحقيقية أحياناً إلى صور خيالية تخدم فكرته، وأحياناً يبقيها كما هي ؛ لأن كل الشخصيات الخيالية والحقيقية لها أصل ووجود في حياتنا، نشعر بها ونعيش واقعها أحياناً، وتؤثّر فينا أغلب الأحيان، إذا صاغها المبدع بطريقة فنية مؤثرة.

فالشخصية الرمزية هي الشخصية الخيالية التي تختفي وراءها الشخصية الحقيقية، والتي غالباً ما تكون رمزية غامضة، تؤدي الوظيفة الأساسية في النص دون التصريح بحقيقتها ومن ذلك قول الشاعر صادق الطريحي:[٣١]

في آخر هذا النص...
ستظهر امرأة.

في آخر هذا النص
وقبل نهايته بقليل...
ستظهر امرأة،
امرأة سومرية.
في آخر هذا النص
وقبل نهايته بقليل،
قبل أن تنتهي من قراءته
ستظهر امرأة سومرية
وسمها كأسماء الفرات.

في هذا النص يلعب التكرار دوراً مميّزاً في الإشارة إلى الشخصية الرمزية والتوكيد عليها، فقد كرّر العبارات الآتية:

(في آخر هذا النص) ثلاث مرات مع بداية المقاطع الثلاثة، ثم كرّر الشخصية المركزية في هذا النص بقوله: (ستظهر امرأة) ثلاث مرات في المقاطع الثلاثة أيضاً، ثم كرّر عبارة: (وقبل نهايته بقليل) مرتين، وكلمة (امرأة) خمس مرات.

كل هذا التكرارات المتتالية والمتناسقة شكّلت أغنية تحمل الإيقاع والدلالة الموحية بالغرض الأساس، الذي هو المرأة السومرية، التي شغلت الشاعر وجعلته في حوار مفتوح مع المتلقّي، إذ يدعوه إلى التأمّل بهذا النص ليكتشف من هي تلك المرأة، ويبدو أن نهايات النص توحي بذلك، لذا أكد عليه بقوله: (قبل أن تنتهي من قراءته...) فوضع له هذه النقاط الثلاث هنا، وفي بداية النص ووسطه لكي يجعل القارئ يتفاعل معه ويشغل هذا الحذف بما تفيض عليه مخيّلته من دلالات تزيد من كمال النص ومعناه، خصوصاً أنه صرّح له ببعض من علامات تلك المرأة السومرية في آخر شطر من القصيدة، بقوله: (وسمها كأسماء الفرات).

ومن ذلك قوله أيضاً:[٣٢]

أأنتِ من بغداد؟
...
أبهذا القطار البارد عبر النهر..
قادمةٌ أنتِ !؟
أعابرةٌ أنتِ هذا الصباح الرسوبي..
أم مقيمةٌ ما أقامَ السواد؟

يستفهم الشاعر هنا عن أماكن عدة ممكن أن تتواجد فيها تلك الشخصية الغامضة وهذه الأماكن هي: (بغداد، القطار، النهر، الصباح الرسوبي، السواد)، فقد وظّف الشاعر أداة الاستفهام (الهمزة)، للسؤال عن هذه الشخصية، و أسلوب الخطاب كان مباشراً باستخدام هذه الأداة، التي وظّفها الشاعر بأسلوب التعجّب، كما في قوله: (أأنت من

بغداد)، و قوله: (أبهذا القطار... قادمة أنت)، وقوله: (أعابرة أنتِ هذا الصباح الرسوبي)، وقوله: (أم مقيمة ما أقام السواد).

فاعتماد الشاعر على تعدّد الأماكن وعلى أسلوبي الاستفهام والتعجّب، يدلّ على درجة عالية من التشويق النفسي الذي يمرّ به الشاعر، وامتزاج ذلك التشويق بتجربة الشاعر الحاضرة في هذا المقطع، المملوءة حنيناً وشغفاًبالمحبوبة.

ـ الخاتمة:

في هذه الدراسة التي قدّمناها، قد وقفنا عند ظاهرة فنية في شعر (صادق الطريحي)، وتكمن تلك الظاهرة في استدعاء الشاعر للشخصيات في شعره سواء أكانت شخصيات دينية أم تراثية أم أسطورية أم رمزية، فلكل شخصية دلالتها الخاصّة في شعره، عكست بطريقة أو بأخرى مدى ثقافة الشاعر نفسه وقدرته على تمثّل تلك الشخصيات وصهرها في النسيج الشعري، فكان الاستدعاء فنياً طلباً للمعنى الشعري، وطلباً للقيم الجمالية داخل النص، وهذا يعني أن الاستدعاء كان قصدياً يروم الشاعر من ورائه تمثّل الظاهرة وتجسيدها شعرياً، ومن ثم جمالياً، فالشخصية التاريخية والدينية والأسطورية والرمزية داخل شعر الطريحي في مجموعة (بيت القارئات)، شكّلت مجتمعة ظاهرة أسلوبية، خضعت لمتطلبات بنائية وشكلية خاصة، فلم يكن ذلك التوظيف مبنياً على أساس التقليد، وإنما كان توظيفاً قائماً على أسس جمالية تستحقّ الدراسة والنظر والتأمّل، بناءً على معطيات المهيمن الأسلوبي والأسس النوعية الراكزة التي شكّلت بمجموعها هوية النص الشعري.

الهوامش:

١ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان: ٤٦٩

٢ـ ينظر: لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار المعارف المصرية، القاهرة: ٢٢١١ـ٢٢١٢

٣ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، ج١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر: ٤٧٥

٤ـ ينظر: الشخصية وتمثلاتها في رواية (بقايا صور)، للروائي حنا مينا، م.م. أوراس سلمان كعيد، جامعة القاسم الخضراء، العدد: ٣٣، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، حزيران ٢٠١٧: ٣٨٥

٥ـ ينظر: شخصية الأديب المسلم و الإبداع الأدبي، دراسة تأصيلية في الرؤى الفكرية، محمد عطية السعودي، دار المأمون، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠: ١٦

٦ـ المصدر نفسه: ١٧

٧ـ البنية الدرامية في الشعر العراقي الحديث ١٩٩٠ـ١٩٩٩، زينب جاسم محمد رسالة ماجستير، كلية الآداب ـ جامعة القادسية، ٢٠٠١م: ٥٠

٨ـ ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية: ١٣ ـ ١٧

٩ـ استدعاء الشخصيات القرآنية في ديوان بدوي الجبل، (بحث)، عبد الغني ايرواني، أحمد نهيرات، بحث في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد (١١) سنة ٢٠٠٩م: ١ـ١٨

١٠ـ ديوان بيت القارئات، من يوميات النبي السامي: ١٠٣

١١ـ ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م: ١٦

١٢ـ ديوان بيت القارئات، قصيدة حب مهربة إلى حبيبتي رايس: ٢٧

١٣ـ ينظر: البنية الدرامية في شعر يحيى السماوي، هدى مصطفى طالب الامين، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م: ١٢٢

١٤ـ ينظر: شعر محمد صابر عبيد، مجموعة (هكذا أعبث برمل الكلام) دراسة فنية، زينب خليل مزيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة ذي قار ٢٠١٢م: ٨٠

١٥ـ ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد: ١٢٩

١٦ـ ديوان بيت القارئات، قصيدة حب مهربة إلى حبيبتي رايس: ١٩

١٧ـ المصدر نفسه: ١٩

١٨ـ ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية: ١٢٠

١٩ـ ديوان بيت القارئات، الطريد: ١٣٥

٢٠ـ المصدر نفسه: ٢٢

٢١ـ الشخصية في عالم غائب طعمة فرمان الروائي، طلال خليفة سلمان، اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠١٢م: ٩٧

٢٢ـ الشخصية في أدب جبرا إبراهيم جبرا الروائي، فاطمة بدر، إصدارات بغداد عاصمة الثقافة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م: ٢٦

٢٣ـ سورة الكهف: ٣١

٢٤ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م: ١٢٩

٢٥ـ لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها وطاقاتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر ٢٠٠٢م: ٤٠

٢٦ـ ديوان بيت القارئات، قباب وأبواب: ١٣٧

٢٧ـ ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧

٢٨ـ المصدر نفسه: ٥٠

٢٩ـ ينظر: الشخصية وآثارها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ، نصر محمد إبراهيم عباس، منشورات شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٤م: ٤٠

٣٠ـ محاولة فهم شخصية الفرد العراقي، محمد مبارك، منشورات البزاز، دار مواقف عربية، المملكة المتحدة، لندن، ط١، ١٩٩٤م: ٤٥

٣١ـ بيت القارئات، نبوءات: ٩٧ـ٩٨

٣٢ـ المصدر نفسه، سيدة من بغداد: ٨٥

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم.

الكتب:

١ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.

٢ـ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣ـ البنية الدرامية في شعر يحيى السماوي، هدى مصطفى طالب الامين، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.

٤ـ شخصية الأديب المسلم و الإبداع الأدبي، دراسة تأصيلية في الرؤى الفكرية، محمد عطية السعودي، دار المأمون، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

٥ـ الشخصية في أدب جبرا إبراهيم جبرا الروائي، فاطمة بدر، إصدارات بغداد عاصمة الثقافة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

٦ـ الشخصية في عالم غائب طعمة فرمان الروائي، طلال خليفة سلمان، اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠١٢م.

٧ـ الشخصية وآثارها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ، نصر محمد إبراهيم عباس، منشورات شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٤م.

٨ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٩ـ لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار المعارف المصرية، القاهرة.

١٠ـ لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها وطاقاتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر ٢٠٠٢م.

١١ـ محاولة فهم شخصية الفرد العراقي، محمد مبارك، منشورات البزاز، دار مواقف عربية، المملكة المتحدة، لندن، ط١، ١٩٩٤م.

المجلات:

١ـ استدعاء الشخصيات القرآنية في ديوان بدوي الجبل، عبد الغني ايرواني، أحمد نهيرات، بحث في مجلة الجمعية الإيرانية

للغة العربية وآدابها، العدد (١١) سنة ٢٠٠٩م.

٢ـ الشخصية وتمثلاتها في رواية (بقايا صور)، للروائي حنا مينا، م.م. أوراس سلمان كعيد، جامعة القاسم الخضراء، العدد : ٣٣، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، حزيران ٢٠١٧م.

الرسائل و الأطاريح:

١ـ البنية الدرامية في الشعر العراقي الحديث ١٩٩٠ـ١٩٩٩، زينب جاسم محمد رسالة ماجستير، كلية الآداب ـ جامعة القادسية، ٢٠٠١م.

٢ـ شعر محمد صابر عبيد، مجموعة (هكذا أعبث برمل الكلام) دراسة فني، زينب خليل مزيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة ذي قار ٢٠١٢م.

الدواوين الشعرية:

١ـ بيت القارئات، صادق الطريحي، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط١، ٢٠١٨م.